

الجمعة 9 شوال 1442 الموافق 21 ماي 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

## الحث على الوحدة ونبذ الفرقة

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 91)

ويقول جل ذكره: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: 52)

إن هاتين الآيتين أيها المؤمنون قد بدأت كل منهما بحرف التوكيد إن، تأكيداً على وحدة الأمة وتماسكها، كما أن الله سبحانه وتعالى قد ربط وحدة الأمة بالتقوى وبالعبادة دلالة على أن تحقيق وحدة الكلمة وحرص الصفوف ونبذ التنازع والتفرق بين المسلمين من أعظم ما أمرنا الله تعالى أن نتمسك به عقدياً وتعبدياً.

عباد الله:

إن في اجتماع المسلمين واتئلاف قلوبهم صلاح دينهم ودنياهم، نعم بالاجتماع يحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الوحدة ما لا يمكن عدها، كما أن بالإفراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى ذلك إلى الضرر العام.

إخوة الإسلام والإيمان:

لنأخذ جولة تأملية في بعض النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، التي حثت على الاجتماع ونبذ الفرقة والإختلاف، لنرى كيف ربي الإسلام العظيم أهله على هذا المبدأ العظيم. ومن ذلكم أن أغلب نصوص الخطاب في القرآن تُوجّه إلى جماعة المسلمين، مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ ومنها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: 103)

وحبل الله هو القرآن، قال النبي ﷺ: «**كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**» (الترمذي عن زيد بن أرقم) فقد شُبه القرآن في الآية الكريمة بالحبل، واستُعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه وهو القرآن على سبيل الإستعارة التصريحية، والجامع بينهما النجاة في كل.

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار وغيره أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلاً من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج، فسأه ما هم عليه من الإتفاق والألفة، فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بُعث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتناوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: «**أَبْدَعُوا الْجَاهِلِيَّةَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟**»، وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح، رضي الله عنهم (تفسير ابن كثير).

ومن الآيات التي تحث على الاجتماع وتذم الفرقة أيضاً قوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ**﴾ (الشورى: 13).

إن جماعة من المنافقين في عهد رسول الله ﷺ أرادوا تمزيق وحدة المسلمين وتفريق صفهم، وأنشأوا لذلك مسجد ضرار ففضحهم الله عز وجل وأبدى عوارهم، وقال فيهم: ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِقُنَّ إِنَّ آرْدُنَا إِلَّا الْحُسَيْنِ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ**﴾

(التوبة: 107-108)

فانظروا إلى الإسلام العظيم كيف يحارب كل طريق إلى تمزيق وحدة المسلمين وإن كان مسجداً، وهذا المسجد لم يرد به الخير، وإنما أريد به أن يكون مقراً للمنافقين، يتم فيه تدمير مؤامراتهم ويشقون به عصا جماعة المسلمين. أيها الناس:

ومما له دلالة القوية في الحفاظ على وحدة الصف ما سجله القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام حينما ذهب لمناجاة ربه، وخلف في قومه أخاه وشريكه في الرسالة هارون عليهما السلام. وفي غيبة موسى فتن قومه بعبادة العجل الذي صنعه لهم السامري، فلما رجع موسى إلى قومه فوجئ بهذا الإنحراف الكبير الذي يتصل بجوهر عقيدة التوحيد، وهنا غضب موسى وألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه وقال:

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (طه: 92-93)  
فكان جواب هارون كما ذكر القرآن: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه: 94).

اعتذر لأخيه بهذه الجملة: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾، ومعنى هذا أنه سكت على إرتكاب الشرك الأكبر وعبادة العجل الذي فتنهم به السامري، حفاظاً على وحدة الجماعة وخشية من تفرقتها. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ» (وفي رواية: مثله، غير أنه قال: وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَلَمْ يَذْكَرْ: وَلَا تَفَرَّقُوا). (رواه مسلم)  
كما أن النبي ﷺ حكى لأصحابه عن المجتمع المثالي للمؤمنين وعن كمال الشعور الإيماني الأخوي، فقال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضُوهُ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى». (رواه مسلم)، فما أعظم هذا المثل النبوي العظيم.  
عباد الله:

وما شرعت الجماعة في المساجد للصلوات الخمس والجمعة والعيدين وغيرها من الشعائر، إلا بغية ائتلاف المسلمين وتعارفهم حتى يكونوا أمة واحدة صافية القلوب، نقية الأخلاق، صادقة المعاملة. إن التنازع والإختلاف له آثار خطيرة على الأمة أفراداً وجماعات، ومن هذه الآثار:

### 1- أنه سبب للفشل وذهاب القوة

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فِتْفَشُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46)

فالتنازع يؤدي حتماً إلى الفشل والضعف والوهن، ولذلك جاء العطف في الآية بالفاء الدالة على التعقيب. ويُروى أن رجلاً أوصى أولاده عندما كان مودعاً للدينار، فأخذ حزمة من الحطب ثم أمرهم أن يكسروها وهي مجمعة، فلم تنكسر واستعصت عليهم جميعاً، ثم فرقتها عليهم فكسروها بكل سهولة وبساطة، فقال لهم مودعاً وموصياً:

كونوا جميعاً يا بني إذا اعترى  
خطب ولا تتفرقوا أحاداً  
تأبي الرماح إذا اجتمعن تكسراً  
وإذا افترقن تكسرت أحاداً

### 2- التفرق والإختلاف سبب للتقاطع المفضي إلى الإثم ولحقوق الوعيد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: 105)

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (متفق عليه)

### 3- الإختلاف والتنازع سبب هلاك الأمم

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ، وَقَالَ: «كَلَّا كَمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا» (البخاري)

## أيها المسلمون:

لا شك أنكم تتفقون معي حين أقول إن الأمة الإسلامية في زماننا هذا ابتليت بهذا الداء الوبيل، داء الفرقة وعدم الإتفاق وكثرة المهاترات والتناحرات، حتى أصبحت شيعة وطوائف وأحزاباً، كل حزب بما لديهم فرحون، مع أن الحق أبلج وهو واضح وجلي، والدين شامل وكامل، وقد تركنا النبي ﷺ على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكن اتباع الهوى وحب الجدل وشهوة التسلط وحب الزعامة، والتعصب للأراء والمذاهب والفتاوى، وكذا تقديس الأشخاص، كل هذا جعل هذه الأمة تتقسم وتتفرق، قال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: 53)

قال ابن القيم رحمه الله: جَعَلُوا التَّعَصُّبَ لِلْمَذَاهِبِ دِيَانَتَهُمُ الَّتِي بِهَا يَدِينُونَ، وَرُؤُوسَ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي بِهَا يَتَّجِرُونَ. (كتاب: إعلام الموقعين عن رب العالمين)

وعن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له: كيف تصنع في هذه الآية؟ فقال: آية آية؟ قلت: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: 105)، فقال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحا مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام، فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم»، قال عبد الله بن المبارك: وزاد غير عتبة: قيل يا رسول الله، أجر خمسين رجلا منهم أو منا؟ قال: «بل أجر خمسين منك» (قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح)

## أيها الناس:

بكل أسف أقول لقد نجح الشيطان في تفريق قلوبنا وشق صفوفنا، ووصل إلى أعماقنا ودواخلنا، فعلى سبيل المثال لا الحصر، حين نختلف حول مسائل إجتهادية التي من المفترض أن نعتبر الإختلاف فيها من إختلاف الرحمة والتنوع، لا من إختلاف التضاد والمكيدة، نحولها من مسائل بسيطة إلى مسائل مصيرية كبيرة، أفضت إلى الهجر وزرع الضغائن والأحقاد والكرهية والحسد، وهذا قد يحدث حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، والله المستعان. وبعد، فإني أنصح نفسي وإياكم أيها الناس بأن نعتصم بحبل الله ونبتعد عن الإختلافات وحب الجدل، فإن المرء لا يجني من وراء ذلك إلا قسوة القلوب ووحشة الصدور.

عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيمٌ ببیتٍ في رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ». (رواه ابو داود) وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصيكم بأصحابي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثمَّ يَفْشُو الْكُذْبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدُ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلًا بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بِحُبُوحَةِ الْجَنَّةِ فَلْيَلِزِمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ» (أخرجه الترمذي)

فإن الله في الإجتماع والإئتلاف، ونبذ الفرقة والنزاع والإختلاف، ولنجتمع على كلمة سواء، ونشتغل بالأهم فالأهم، وإذا لم نستطع أن نوحد القلوب ونرص الصفوف، فلا نكن على الأقل سببا في تمزيقها. اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام.